هذا خلق الله
(٣)

وإنَّ لَكُم في الأنعامَ لَعِبرَة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أفلا ينظرون إلى الإبل ؟!

... وبعدَ صلاةِ الفجرِ أخذتْ (مريمُ) المصحفَ الشريفَ ، وراحتْ تُراجعُ بعضَ السّورِ القِصارِ التي تَحْفَظُها... ، فلما وصلتْ إلى أواخرِ سورةِ الغاشية... دمعتْ عيناها... وقالت : حقاً إنّ القرآن الكريم يَطرحُ بعضَ التساؤلاتِ وذلك بهدفِ تَحريكِ العقولِ ، لكي يتأمّلَ الإنسانُ في هذا الكونِ... وما خَلَقَ الله سبحانه.. ويتفكّر فيما حولَه... : من نباتاتٍ... وحيواناتٍ ، وطيورٍ... وأفلاكٍ... ثم يعود إلى جسمِه ليرى أمراً عجباً ، قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧-٢٠] .

فتحرّكَ عقلُها.. وراحتْ تتساءلُ بينَها وبينَ نفسِها :

هذه الجِمَال ، فيها من روعة الصّنعةِ ، وفيها من العجائبِ ما لا يدركه إلاّ المتفكّرون!!

لقد قرأتُ ذاتَ يومٍ في كتابٍ يتحدّثُ عن خصائصِ الجِمالِ ، وما زلتُ أذكرُ بعضَها : إنّ بمقدورِ عَينِ الجملِ التقريبَ والتكبيرَ! ورموشُ عينيه كثيفةٌ مزدوجةٌ وذلك من أجل أن تَحجبَ عنها الرمالَ الصحراويةَ المتطايرةَ!

وخُفُّ رجليه ضَخْمٌ يساعد على الحركةِ والسّيرِ على رِمالِ الصحراءِ!!

وشفتاه قاسيتانِ مَطّاطيّتانِ ، يستطيع أن يَلتهمَ الشَّوكَ بهما!

وسَنامُه الذي على ظهره يُخَزّنُ فيه الشَّحْمَ!

وهو يخزّن الماءَ الكثيرَ أثناء ورودِه على

الماءِ ، وذلك بهدفِ تَحَمُّلِه لقلّةِ الماءِ... ولو لِبضْعةِ شهورٍ!!

... فمنِ الذي أَوْدَعَ في الجَمَل هذه الصفاتِ ؟! ومن الذي جَعَلَهُ يتناسبُ ويتكيَّفُ مع الصحراء... ؟!

لقد صَدَقَ اللهُ بقوله :

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان : ١١] .

... وسمعتْ (مريمُ) صوتَ والدتِها تُناديها ، فأغلقتِ المصحفَ الشريفَ... وهي تقولُ : صدقَ مولانا العليّ العظيم ، وخَسِيء كلُّ مَنْ يدّعي أنّ هذا الكون وما فيه من مخلوقات خُلق مصادفةً.. أو خلقتْهُ الطبيعةُ... ونحو ذلك...

* * *

﴿الذي أحسنَ كُلّ شيءٍ خَلَقه﴾

وساعدت (مريم) وأختُها (نبيهة) أمَّهُما بإحضارِ الطعامِ...

واجتمعَ أفرادُ عائلةِ (أبي محمد) على مائدةِ الطعامِ ، وتناولوا ـ على بركةِ الله ـ ما كتب اللهُ لهمْ من الطّيّباتِ... ، ثم حَمِدُوا اللهَ تعالى على نِعَمِهِ وآلائِه .

.. فقال (مصطفى) : ها هو موعدُ الندوةِ العلميةِ قد اقتربَ... ، فهلاّ فتحْنا التلفازَ لمشاهدتِها ؟!

وما هي إلا دقائقُ حتى كانتْ بدايةُ الندوةِ الهادفةِ...

وكما هي العادةُ فقد قَدَّمَ عريفُ الندوةِ الأساتذةَ المحاورينَ... وتَحدَّثَ بشكلٍ موجزٍ عن ثقافةِ كلِّ واحدٍ منهم... وعن عملِه وما إلى هنالك...

ثم التفتَ العريفُ إلى الدكتورِ عاطف ، وطلب منه أن يُحَدِّثَ الناسَ ـ وبشكلٍ موجزٍ عن بعضِ الأمورِ المتعلّقةِ بالحيوانات...

وراح الدكتور يتحدّثُ عن بعضِ الأمورِ... ثم يُحَرّكُ العقولَ ببعضِ التساؤلات ، ومن الأشياءِ التي قالَها... وسجَّلَها (محمد) على دفتره الخاصِّ ما يلي :

ـ عندما تنفصلُ البيضةُ عن الدّجاجةِ ، يتشكَّلُ الفرخُ من بياضِ البيضةِ ، بينما يتغذّى من المُحِّ ـ الصَّفارِ الموجودِ داخلَ البيضةِ ـ!!

وهذا يعني أنّ الله الرازقَ قد أعطى المَخلوقَ زادَه قبل أن يأتيَ إلى الدنيا...

** وهنالك في عالَمِ الحيواناتِ حيواناتٌ آكلةٌ للعُشبِ... وأخرى آكلةٌ للّحوم... فكيف تَأَقْلَمَ كُلٌّ علَى حَسبِ حاجتِه ؟

فالكلبُ مثلاً يتناولُ العظامَ ، لذلك جُهِّزَ بأسنانٍ قاطعةٍ وكاسرةٍ للعظامِ ، وله معدةٌ خارقةٌ تَهضمُ هذه المادةَ القاسيةَ... ، واللسانُ يَنقلُ الطعامَ إلى نواحي الفمِ المختلفةِ ، والسؤالُ المُلِحُّ : إنّ اللسان مِن اللحمِ ، فلماذا لا تَطْحَنُه الأسنانُ والأضراسُ والأنيابُ ؟!

* ولجميع الثدييات ، ما عدا الإنسانَ ، نوعٌ خاصٌّ من الشَّعرِ الطويلِ المتصلِّبِ الذي تستخدمه في الحسِّ والاستشعارِ ، ولعلّ أوضحَ مثالٍ لهذا الشَّعرِ هو الشّوارب التي تنمو للقِطَط ، بحيث تُساعدُها أثناءَ السّيرِ بالليلِ على التنبُّهِ إلى الخطرِ قبل وقوعِه... ، ومثلُها الفأرُ ، فهو يعرف طريقَه بوساطةِ شَعراتِ شَنَبِه!

وبالتالي ، فإذا قُصَّتْ هذه الشّعرات ـ كما حَدَثَ لفأرٍ في إحدى المَخابِرِ ـ غاص وغَرِقَ!!!

** وهناك نوعٌ من الحيواناتِ يدعى (أبو بريص) له طريقةٌ عجيبةٌ في الدّفاع عن نفسه :

عندما يدخلُ أحدَ الشّقوقِ ، فإنه يملأ رِئَتَيه بالهواءِ ، حتى ينتفخَ... ، وعندئذٍ يُصبح من الصَّعب إخراجُه عن طريق جَذْبه من ذيله الذي يَظَلّ خارجَ الشقّ!!!

* وهناك نوعٌ من أنواعِ الدِّبَبَةِ ، يدعى (الدُّبّ القطبي) ، عندما يُجْهِزُ على فريستِه ، لا يأكلُ منها إلاّ الجلدَ والطبقةَ الدُّهنيةَ ، ويتركُ اللحمَ والعَظْمَ! فيأتي نوعٌ من أنواع الثعالب ، يدعى (الثعلبُ القطبي)... ويتتبّعُ ذاكَ الدبَّ القطبي ، فيأكلُ اللحمَ والعظمَ اللذَين تركهما ، فمن الذي نَسَّقَ ذلك كلَّه ؟!!

** وهناك الطائرُ المعروفُ باسم (اللّقلَقِ) يبني عُشَّهُ فوقَ القِبابِ ونحوِها من الأماكنِ المرتفعةِ ، وله عدوٌّ من الطيورِ ، يتعمَّدُ أن يأتيَ إلى عُشِّه ويكسرَ البيضَ الذي فيه!!

فكيف يحمي اللقلقُ عُشّه إذاً ؟!

لقد اهتدى (اللقلق) إلى نبتةٍ ، إذا شمَّها الطائرُ المعادي له ، فإنه يُغمى عليه!

لذلك يأتي (اللقلق) بتلك النبتةِ ، ويضعُها تحتَ بيضِه ، وذلك ليأمَنَ شرَّ عدوِّه ، فمن الذي عَلَّم اللقلَقَ ذلك ؟!

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[آل عمران : ١٩١] .

* * *

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾

... وابتسمَ عريفُ الندوةِ ثم قالَ : يبدو أنّ الدكتور (عاطف) قد فُتح أمامه بابٌ واسعٌ ، ونخاف أن ينتهيَ الوقتُ دون أن يتحدّثَ الآخرون...

عندها بدأ الدكتور (سليمان) الحديث بقوله :

لقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى عالَمِ الحَيَوانِ ، بحيث تكررتْ كلمةُ (الأنعام) قرابة (٢٦) مرةً ، وذلك كما في قول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦] .

فهل فكّرنا وتساءلْنا : من أين يأتي الحليبُ ،

ذو الطَّعمِ الحُلْوِ ، وذو الفوائدِ الجَّمَّةِ ؟ ومن أين جاءه الدّسمُ والسكّرياتُ والفيتامينَاتُ والأملاحُ والمعـــادن... ؟ ومـــن الـــذي يقـــومُ بعمليـــاتِ تَصفيتِه... ؟!

إننا نرى بأمِّ أعينِنا البقرَ.. والأغنامَ.. ، إنها تأكلُ الحبوبَ والأعشابَ.. وتَشربُ الماءَ ، لكن كيفَ يتحوّلُ ذلكَ في داخلِها إلى حَليبٍ... ؟ وكيف يُصفّى الحليبُ عن الدم.. وعن الفَضَلاتِ... ؟!

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾

[لقمان : ١١] .

* * *

﴿ولكم فيها مَنافِعُ...﴾

وفي مشاركةٍ قصيرةٍ ، أوجزَ الدكتور (عاصم) القولَ بما يلي :

* للطيورِ (٩٠٠٠) آلافِ صِنْفٍ!! فهل دقّقْنا النظرَ في جَمالِ مَنظرِ عَصافيرِ الجَنةِ ؟ وفي رَوعةِ رِيشِ الطاووسِ ؟ وفي أصواتِ الطيورِ العذْبةِ ؟

* وفي عالمِ النحلِ آياتٌ وعجائبُ : فهندسةُ بناءِ الخلايا شيءٌ يُذهلُ العقولَ ، وطريقةُ جَنْيِ العسلِ ، من الأزهارِ والورودِ... ، شيءٌ يحيّر العقول...

قال ربنا سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ

أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[النحل : ٦٩] .

** وفي هندَسةِ العنكبوتِ ، وذلك أثناء تَصنيعِ شَبَكَتها ، أمرٌ عجيبٌ!

... وفي عالَمِ الحشراتِ يُطالعُنا العلمُ بأمورٍ عجيبةٍ حقّاً!

... وفي عالَمِ البِحار ، هناك أنواعٌ من السمكِ ، لا يعرف مِقدارَها إلاّ الخالقُ سبحانَه ، ومنها (٣٠٠) نوعٍ يتمتّعُ بأجهزةٍ كهربائية...!! وهناك نوعٌ من الحِيتانِ يَصِلُ وزنُه إلى (٣٠٠) طن!!!

... ثم هناك من الحيواناتِ أنواعٌ تَثْبُتُ طوالَ فصلِ الشتاءِ!! وهناك منها ما يتلَوّن كالبيئةِ المُحِيطةِ ـ كالحِرْباء ـ!! و...

فهل فكّرَ الإنسانُ ـ جِدِّياً ـ بعالَمِ الحيواناتِ والطيورِ ؟ وهل تساءلَ الإنسانُ عن السرِّ وراءَ ذِكْرِ

القرآنِ لبعضِ المعلوماتِ المتعلّقة بذلك العالَمِ الواسِعِ ؟!

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

والحمد لله رب العالمين